## مكتبة القصة

# "ادجار ألن بو" دراسة ونماذج من قصصه

للدكتور أمين روفائيل

بقلم : محمود تيمور

---

من مطالعة واقية لما انتج « بو » خلال حياته القصيرة الحصبة ، ومن احاطة شاملة بما كتب المؤرخون عن سيرته ، وما تناول به الناقدون أدبه وفنه ، وعلى ضوء كفاية متخصصة قادرة على فهم جوانب الموضوع ، لا تعوزها اسباب الموازنة والترجيح وعلى اسلوب متزن ، تتوافر له السلاسة والصفوح ، الى الاصالة في انتقاء الالفاظ المعبرة ، والمواضعات النقدية الواضحة — قدم لنا الأستاذ الدكتور « اميل روفائيل » دراسة مستفيضة لاديب يعد صانع القصة القصيرة في شكلها الحديث ، واول من نظر اليها على انها لون مستقل من الوان الأدب ، هو القاص الامريكي : « ادجار الان بو » . وكذلك قدم المؤلف مع الدراسة ترجمة ثلاث قصص نموذجية .

وليس هذا الكتاب من طراز كتب التراجم التي تتبع مراحل الحياة الشخصية تتبعا يقوم على أحداث تاريخية مجردة ، ويعول على ارقام وأسانيد ، وفيه تراجم تقول وشواهد ، ولكنه بحث أدبي رفيع ، وجهد موضوعي عميق ، يمضي الى الصميم من عمل « بو » ، فيكشف عن خصائصه ، ويستخلص حقائقه ، ويستنبط اسراره ، ويجلو ذلك كله في صورة جميلة سهرت على تنسيقها خطة مدروسة في احكام ودقة ، عدتها الا تعرض حياة الأديب في مراحلها الماضية ، بقدر ماتعرض فيه موضوعات حية ناطقة باقية .

والاستاذ الدكتور « أمين روفائيل » أديب يحب « بو » ولكنه لا يحابيه ، فقد التزم الأمانة في العرض ، والعدالة في الحكم . انكر على المؤرخ الأول لسيرة « بو » انه اسرف في اتهامه ، وشطط في التنديد بأخلاقه وشيمه ، وارد التشهير به ، والتشنيع عليه ، بعد ان مؤلفها مع انكاره ذلك عرض ماكان « لبو » من أخلاق وشيم ، في منحى لا يخلو الى شيعة وتسوىء سمعة ، واجتنب في الوصف والتقرير كل تعبير فيه حموضة او غصاصة ، ورد كل خليقة الى مناشئها من ملابسات الحياة ، ووقف بها عند حدودها في غير اسراف ولا عدوان .

ينقل لنا المؤلف أن ذلك المؤرخ الأول لسيرة « بو » رسم له صورة مشوهة بالافتراء ، مدوثة بالمثالب ، رماه بالحسد ، وبكران الجميل ، والضيق بمن يحالفه ،

والاستعلاء والغرور وعداوة الناس ، الرعشة في الظهور والاصبار ، وبانه سكير فاجر لا حظ له في صلاته بالسماء من حياء أو احتشام . ولا يحفل بما يطلبه الشرف والضمير ... فاذا مضى بنا المؤلف في تحليل حياة « بو » وتعليل مافيها قال في مواضع شتى من كتابه « ان صدره كان يحتدم بالسخط لشعوره بانه لم ينل من الجزاء ماكان يستحقه ، وأن الشدائد التي لاقاها زوت بدور علله النفسية التي بدرت في طفولته ، وقد ظهرت أعراض هذه العلل في خصاله وأخلاقه ، فهو قلق ، تدفعه شدة حساسيته الى المشادة والخصام ، منقسم على نفسه ، متقلب المزاج ، عطوف رقيق الشمائل ، صلف متهور سريع الغضب ، منهوك الأعصاب قليل الأصدقاء ، سيء الظن بالناس ، يتسلط عليه ارتياب مرضي بهم ، وقد بدد قواه باسرافه للشراب في الحانات الوضيعة . وجعل يتنقل بحبه من امرأة الى اخرى . احب شاعرة متزوجة ، ثم أحب من عيبت به بعد موت زوجته ، وتوله بشاعرة تكبره . وفي الوقت نفسه كان شديد الكلف بامرأة أخرى ، ثم جدد آخر الأمر علاقته بحبيبة صباه . وان قصته «ويليام ويلسون» التي تدور حول الاثم مصدرا للقلق والعذاب وليست في حقيقة أمرها الا صفحات من حياته النفسية . فهو لم يكتبها على انها قصة ، ولكنها اعترافات في صورة رمزية ... »

وهكذا لم يغفل باحثنا الأديب من سلوك « بو » ماقد يشينه ، حين تناول طرفا من حياته ، ولم يهمل من فنه مايؤخذ عليه . وهو يحلل أعماله - ومع ذلك وفق كل التوفيق في أن يجعلنا - فيما قدم من تحرير سيرته ، وتقويم فنه - على أن نقدر الرجل قدره ، ونستشعر له فيما امتحن به الرثاء والاشفاق .

اتبع المؤلف كتابه بطرف من سيرة « بو » ثم أجمل نظريته في الشعر ومانظم منه ، وعرض بعد ذلك تحوله الى القصة ونظريته فيها ، ثم عقد فصلا في صناعة بو للقصة ، ولم يستغرق هذه النواحي جميعا الا نحو النصف من الكتاب ، واستغل النصف الآخر بعرض وتحليل لبعض القصص في جوانبها المتعددة : التعذيب والانتقام ، والحالات المرضية ، وتأثير الاثم في النفس ، والموت ، والكشف عن مشكلات مستغلقة .

ويلخص المؤلف نظرية « بو » في الشعر بان التعبير الموسيقي خاصة اساسية فيه ، وان غايته المتعة غير المحددة ، اي المتعة التي ليس مصدرها التصريح والمعاني الواضحة ، فالشعر قوامه التلميح والايماء . واذا كان العقل غايته الحقيقة ، والضمير شغله الواجب ، فالشعر لا يتصل بالتعليم والأخلاق . بل يتصل بالروح الواقعة الى الجمال ، والمقصود بالجمال هو الجمال السماوي المثالي الذي يحسه المرء في نشوة من عالم اكثر بهاء ورونقا من العالم المرئي . ولما كانت المطلوعة مهمتها أن تهيج الروح ، لزم أن تكون محدودة ، لأن ألوان الاهتياج الرفيع قصيرة عابرة . والعمل الأدبي ليس فيض العبقرية ، بل هو عمل منظم مروي فيه . فالشاعر ليس مرجل علهم ، بل هو صانع ذكي ، من صفاته التروي واحتمال الجهد ويقظة الفكر . ويصارحنا المؤلف بان « بو » صاغ نظريته في الشعر متاثرا بما نظم منه ، فالمنظومية

القصائد القصيرة هي التي يرع فيها . والموضوعات التي ينادي بها هي الموضوعات التي كان بها مشغوفا .

ثم يبسط المؤلف نظرية « بو » في القصة القصيرة ، فهي تقوم على مبادىء وأسس جمالية ، أهمها : أنه يكره لها أن تكون أداة لتقويم الاخلاق والعقول ، أو أن تطابق الواقع ، فانها لا تحمل رسالة اجتماعية أو مغزى أخلاقيا ، ولا تقدم شرائع من الحياة ولكن غرضها أن تترك في نفس القارىء أثرا محددا ، فمعيار العمل الفني هو الهدف الذي يحققه ، والأثر الذي يطبعه ، بما يثيره من شعور الخوف والاستشناع أو مايشبه ذلك من مشاعر . وعناصر تهيئة الأثر عنده هي الأحداث المخترعة ، والشخوص ، والأمكنة مما حوت من اشياء ومناظر والوان واضواء وأسرار ، والوسيلة الى انفاذ ذلك ليس الاستلهام من الملأ الاعلى ، بل اتقان الصنعة ، والتأليف بين العناصر ، وحصر الانتباه لغرض والرسم الواضح المتماسك للعمل الفني .

ويشرح لنا المؤلف كيف ان صاحبه « بو » قد التزم ذلك كله في قصصه فنجح في بناء الجو ، وحقق التكامل بين العناصر ، واوتى قدرة على اضفاء مسحة الحقيقة على التجارب الغريبة ، حتى لتصدق المحال حين يقدمه . وتميز اسلوبه القصصي باستهلال له ما لربن جرس يبعث الانتباه ، كما تميز بحرص على التركيز . وتقييد نفسه في الشخوص بعدد محدود ، وفي الأمكنة باصنافها ، وفي الأحداث بما هو قليل .

ويقول المؤلف في التعليق على نظرية « بو » في القصة في صفحة ٧٥ : « انه لم يكتف باستنباط قواعد نظرية ، بل ذهب وراء هذا الى التزامها ، على عسرها ، في عدة قصص أثبت فيها صحة تلك القواعد . » وهذا القول يشعر بان استنباط القواعد سابق على تأليف القصص ، ولا احسب ذلك صحيحا على اطلاقه ، والمؤلف يشير في غير موضع من كتابه الى أن « بو » متأثر فيما قعد للشعر ، وفيما شرع للقصة ، بما نظم وما كتب ، وأنه كان مهيأ بطبعه وأحداث حياته ، وبميوله ومنازعه ، لما جرى به قلمه . وقد رأينا المؤلف في شرح نظرية « بو » في الشعر ينادي بانه صاغها متأثرا بما نظم منه . أفليس من الحق ايضا أنه صاغ نظريته في القصة متأثرا بما كتب من الوانها ؟

وقد وصف لنا المؤلف عالم « بو » في أهم أنواع قصصه ، وهو نوع « القصص القوطية » ، فقال في ص ٦٥ :

« انشأ فيها كتب منه عالما غريبا موحشا حزينا ، لا تهب فيه نسمات الحياة ، ولا تكاد أشعة الشمس تسطع عليه ، فلا تراه في معظم الأحيان الا في خوف الليل البهيم ، أو عصر يوم من أيام الشتاء ، أو خلال يوم ساكن في الخريف تحت سماء ملبدة بالغيوم — عالم تتوارد فيه أحداث خارقة ، تتحدى العقل وسنن الطبيعة ، فتسمع صيحات من وراء الغيب ، وتشهد موتى يبعثون من القبور ، وأرواحا تحل في غير اجسادها وتقع فيه أفعال بالغة القسوة ، بعيدة عن تجاربنا اليومية ، تشبه تلك

التي تتفرع منها في كابوس ثقيل ، وهو عالم تستعر فيه روح الانتقام ، ويزرقه وحر السعير ، ويتفاقم فيه المرض - مرض الجسد والروح والعقل ، ويجرس شبح الموت » .

وهذا الوصف يسم عن « بو » بميسم خاص ، يبعد به عن أن يكون فنا طليقا شاملا صادقا على الحياة والأحياء ، في المستوى العام - ولكنه مع ذلك يبقى مستقلا متميزا بما فيه من جوهر انساني صحيح - وقد أحسن المؤلف حين ألمح الى هذا الجوهر بقوله في خاتمة كتابه ص ٢٣٥ .

يشر في قصصه ما يدور في رأسه من خواطر وتأملات حادة حول الحيـــاة ، تصورها - بما فيها من بؤس وألم وتعبير واضطراب - مأساة من جميع وجوهها ويصور في الناس الأنانية والمخادعة ، والقسوة والعوج والالتواء .

ويبدو أن حرص المؤلف على دقة التواليف التي أفرغ فيها فصول كتابه ، اضطره الى ادماج خطوط عريضة من البحث في مجراها الطبيعي ، ولو أفرد لها مكانا مستقلا لوجد فيه للقول مجالا أوسع ، ومن ذلك استطراده الى خاصة الرمز في شعر « بو » ونثره . وذلك في عرض التحليل لقصة «سقوط بيت أشر » - وكذلك استطراده الى تصوير « بو » لنسائه متشابهات غير متنوعات ، وتعليل هواة علم النفس لهذا في ضوء منهج «فرويد» ، وذلك في عرض تحليل ما كتب « بو » من قصص الموت .

ولعل قارئنا العربي كان يرتقب أن يتجه المؤلف بحانب من بحثه الى تأثر «بو» بتراث الشرق في الأدب والثقافة ، فقد كانت القصص والأساطير الشرقية مصدر الهام وايحاء له في مثل قصة «الموعد» التي تنقل لنا الجو الواضح لقصر من قصور «الف ليلة وليلة» ، وان كثرا من الصور والمشاهد والتشابيه التي حفلت بها قصصه المستوحى من مصادر عربية بحاصة أو شرقية بوجه عام ، ولا يفوت قارئ» أن يلمح الصلة بين تمثيل نور الله في آيات من «القرآن» وتصوير «بو» لتلك التي سماها «صلاتة» ووصفها في احدى قصائده بأنها من عالم قدسي ، تمثال في مشكاة منالقة ، جنده مصباح ، رمز للحسن الكامل ، حسن الاهة من عالم آخر ، تحف بها هالة من الجمال والاشراق السماوي .

واما ترجمة الدكتور أمين روفائيل للنماذج الثلاثة من قصص « بو » الموعد ولايجيا ، ووبليام ويلسون ، فهي على نحو ما عهدناه منه في المجموعة القصصية التي أخرجها قديما « شجرة التفاح» والمجموعة التي أخرجها حديثـــا «سبع قصص» يلتزم جاهدا أن يقدم لك الاصل في دقة الناقل الامين ، ولكنه مع ذلك يمتلك أداة عربي مبين .

محمود تيمور